

تحقيقات « أورشام » حول التطورات الإقليمية

الرقم : 32 اغسطس 2016




ORSAM
ORTADOĞU STRATEJİK ARAŞTIRMALAR MERKEZİ
CENTER FOR MIDDLE EASTERN STRATEGIC STUDIES
مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية

ان اكبر عائق كان ذاكرة الشعب

علي بالجي



ان علي بالجي الذي تخرّج عام 2002 في قسم العلاقات الدولية بجامعة اولوداغ، اكمل دراسته للماجستير في جامعة صقاريا. ويتولى بالجي الذي اكمل دراسة الدكتوراه في عام 2010، حاليا منصب مساعد الاستاذ في قسم العلاقات الدولية بجامعة صقاريا، كما يقوم بالقاء دروس في هذا القسم على مستوى الليسانس والماجستير. وقد نشر بالجي اربعة كتب بعنوان "مقولة الدولة العسكرية لتركيا في تركيا (منشورات كاظم 2011) و"السياسة الخارجية لتركيا - المبادي والعاملون والتطبيقات (منشورات انكلاشيم - 2013) و" الصراعات في السياسة الخارجية: حزب العدالة والتنمية، الجيش، والكمالية" (منشورات انكلاشيم - 2015) و "The PKK-Kurdistan's Workers Party's Regional Politics During and After the Cold War (Palgrave, 2016))" كما ان له مقالات وبحوث عديدة مجلات رصينة مثل Ethnicities, Journal of South Asian and Middle Eastern Studies, Insight Turkey, Mediterranean Quarterly, Turkish Studies, Uluslararası İlişkiler, Middle East Critique, .Ortadoğu Etütleri, Akademik Orta Doğu

ما هي اسباب فشل محاولة الانقلاب في 15 تموز بالمقارنة مع الانقلابات التي حصلت في الماضي؟

- لقد انتهى زمن امكان حدوث انقلابات في تركيا بالوسائل التقليدية (مثل الغاء الحكومة وحل الكوادر العسكرية محل الكوادر المدنية التي تقوم بادارة البلد)، والتي كنا نشاهدها في تركيا بعد الثمانينيات من القرن الماضي. وحيث ان محاولات 28 شباط/ فبراير و 27 نيسان/ ابريل قد تحققت عن طريق توجيه اندارات الى الحكومات من قبل الجيش، فان هذه الاحداث لا تدخل ضمن تعريف الانقلاب التقليدي. اما محاولة الانقلاب التي جرت في 15 تموز لعام 2016، فانها كانت من حيث اسلوبها وغاياتها متعارضة مع الانقلاب التقليدي. على انه بالرغم من ان الانقلابيين كانوا منظمين تنظيميا جيدا للغاية ومخطط له بشكل جيد، فان المحاولة انتهت بالفشل. اما لماذا انتهت المحاولة بالفشل، فان ذلك يجذب معه نقاشا طويلا وقد حصل ذلك فعلا.

وكمساهمة مني في هذا النقاش، وفي نطاق بيان اسباب هذا الفشل، فانه يمكنني القول بان هنالك ست آليات تتعلق بالهيكل اثرت في حصول هذه النتيجة. وبالطبع فان الاضطرار الى تقديم موعد المحاولة الانقلابية، وزعامة اردوغان وعوامل اخرى كثيرة ساهمت في هذا الفشل. ومن الضروري جدا فهم اجوبة لماذا تفشل محاولة انقلابية منظمة بهذه الصورة الكبيرة في هذه الفترة من عمر الزمن. والعامل الاول بصدد هذا الفشل هو استحالة السيطرة على وسائل الاعلام بالقياس الى الاعوام التي سبقت عام

1990. وبعبارة اخرى، عدم امكانية سيطرة من قاموا بالمحاولة الانقلابية على استعمال من قاوموا المحاولة او نظموا عمليات الاطاحة بها لوسائل الاتصالات التي يملكونها او غلقها نهائيا. ولذا فان ذلك يفسر لنا لماذا لم يتمكن انصار عدنان مندريس الذين علموا بالانقلاب بعد نجاحه، لماذا لم يتمكنوا من الوقوف ضد الانقلاب. ويأتي على رأس العوامل التي أدت الى افسال المحاولة الانقلابية التي جرت في ليلة 15 - 16 تموز، استطاعة رئيس الوزراء والاھم من ذلك رئيس الجمهورية تحشيد جموع الشعب للوقوف ضد تلك المحاولة.

والعامل الثاني يأتي في حالة عدم اعطاء العامل الاول الجواب الكافي حول الأمر. ان ذلك يفسر ايضا السؤال الذي يمكن توجيهه على سبيل المثال في حالة مصر وهو «كيف نجح الانقلاب في مصر في الوقت الذي كان بإمكان مرسى ان يستقطب مؤيديه للنزول الى الشارع». ان هذا العامل يتمثل في وجود قوات مسلحة اخرى في تركيا امكن لها الوقوف امام او تحقيق التوازن ضد القوات المسلحة التي كانت تشكل العمود الفقري للانقلاب العسكري. ان هذه القوة منقسمة بين قوات الشرطة والأمن، إضافة الى عناصر القوات المسلحة داخل الجيش الذين عارضوا فكرة القيام بانقلاب عسكري. ان هذه القوة التي حققت هذا التوازن، قد تولت في نموذج 15 تموز عمليات حرجة وتحركت بالتعاون مع افراد الشعب الذين ملأوا الشوارع والميادين وتمكنت من اجبار الوحدات المتمردة على الاستسلام.

الاكاديمية والطبقة المثقفة على الصعيد السياسي وغيره، الأمر الذي خلق لديهم حالة من الوقوف ضد الانقلابات على طول الخط. ولذا فان هذه الثقافة المتمثلة في الوقوف ضد الانقلابات قد جعلت حتى المعارضين للحكومة الحالية ان يقفوا ضد الانقلاب بشدة، فكان الثقل في جانب تأييد حزب العدالة والتنمية بدلا من مساندة الانقلاب.

ما هو العامل الأخير؟

ان السبب الأخير ولربما الأهم، هو وجود طبقة وسطى واسعة وقوية ومتوقفة على المواقف الايديولوجية اليوم في تركيا، بخلاف الوضع والوسط الذي كانت عليه تركيا خلال الحقب التي تحققت فيها الانقلابات السابقة. ذلك ان الطبقة الوسطى هي في الغالب الاكثر تعرضا للأضرار والخسائر في اوقات الأزمات السياسية. ان هذه الطبقة الوسطى التي خلقها الاتجاه نحو الليبرالية الاقتصادية التي عاشها البلد اعتبارا من ثمانينيات القرن الماضي، كانت تمثل القسم الكبير من الحشد الذي وقف ضد دبابات الانقلابيين التي خرجت الى الشوارع في استانبول وانقرة والذي دخل مع الانقلابيين في ما يشبه حرب الشوارع.

ما هي اوجه الشبه والاختلاف بين محاولة 15 تموز الانقلابية وبين الانقلابات المعاصرة؟

- ان اقرب انقلاب واكثر من نعرف عنه من انقلابات هو الانقلاب الذي حصل في مصر عام 2013 بزعامة السيسي ضد سلطة محمد مرسي. واذا ما استثنينا الفروق بين

- حسنا، ولكن لماذا وقفت قوات الشرطة بجانب افراد الشعب بدلا من مساندة افراد الجيش؟

ان هذا السؤال الحيوي يأخذ بنا في الواقع الى النقطة الثالثة. لماذا اتخذت قوات الأمن موقفا بجانب الحكومة المدنية بدل الوقوف بجانب من قاموا بمحاولة الانقلاب؟ ان هذا التساؤل مهم جدا، لأنه اذا ما كانت المحاولة الانقلابية قد نفذت في عام 2013 اي وقت لم تكن التصفيات ضد جماعة جولن قد بدأت بعد، فان قوات الأمن كانت تقف في اغلب الظن الى جانب القائمين بالانقلاب. وفي خلال الاعوام الثلاثة التي مضت على ذلك، تمكنت السلطة من التعرف على عدوها وتصفيته بدرجة كبيرة، وان ذلك اهم ديناميكية عملت على دخول القوات المسلحة اتي خلقت توازن القوى في المعترك.

اما العامل الرابع، فان له علاقة ايضا بالعامل الثالث. ذلك ان الفترة الطويلة التي قضاها حزب العدالة والتنمية في السلطة، قد حققت خلق نوعا من التجاذب والتعاطف بينه وبين المؤسسات العامة (البلديات، وادارات المحافظات وغيرها) والصحافة وعالم الاعمال. ولذا فان وقوف هذه المؤسسات ضد المحاولة الانقلابية بشكل فعلي (على سبيل المثال المقاومة والممانعة التي حصلت اثناء محاولة السيطرة على بلدية استانبول الكبرى) كان عاملا في الحيلولة دون السيطرة على مواقع من قبل عناصر المحاولة الانقلابية.

اما العامل الخامس، فيتمثل في الذكريات السيئة التي تحملها الاوساط

ان الذكريات السيئة التي تحملها الاوساط الاكاديمية والطبقة المثقفة على الصعيد السياسي وغيره، خلقت لديها حالة من الوقوف ضد الانقلابات على طول الخط. ولذا فان هذه الثقافة المتمثلة في الوقوف ضد الانقلابات جعلت حتى المعارضين بشدة للحكومة الحالية ولفترات طويلة من الزمن، ان يقفوا ضد الانقلاب، فكان الثقل في جانب تأييد حزب العدالة والتنمية بدلا من مساندة الانقلاب.



(استحالة سيطرة القائمين بالانقلاب على وسائل الاتصالات بصورة تامة). وحتى هذا المثال لم يكن واضحا ومؤثرا بقدر ما كان عليه الحال بالنسبة لتركيا. ومن حيث النتيجة، فان مما يؤسف له ان الذين وقفوا ضد الانقلاب في مصر والذين لم يكن لهم من يحميهم امام القوة الكبيرة للجيش، فقدوا حياتهم وفقدوا الديمقراطية ايضا في آن واحد. واعتقد ان هذه التفاصيل مهمة من حيث ان التعلق بالرومانسية يجرنا الى مواضع خاطئة.

كيف ستؤثر محاولة الانقلاب هذه على القوات المسلحة التركية في المستقبل؟ فان الجيش قد فقد هيئته بشكل كبير. ما هي التدابير التي يمكن اتخاذها لتدارك هذا الوضع؟

- يمكننا ان نقسم هذا التأثير الى قسمين على اساس التأثيرات قصيرة الأمد والأخرى طويلة الأمد. اما التأثيرات التي نواجهها على المدى القصير، فهي معلومة للجميع. ان

الديناميكيات المجتمعية في البلدين ووجود تشكلات مثل «الجماعة»، يكون بالامكان المقارنة بين الحدثين. واعتقد ان السؤال الرئيسي في هذه المقارنة يمكن صياغته على الشكل الآتي: لماذا نجح الانقلاب العسكري في مصر بالرغم من نزول مناصري مرسي الى الشوارع وعلان مرسي انه سيفقد ضد الانقلاب وانه سيواجهه؟ ان ذلك يمكن ان ينقذنا من تحليل رومانتيكي مفاده انه يمكن منع حصول انقلاب عن طريق نزول المواطنين الى الشوارع. ان ذلك لا يعني انكار دور الشعب في الحيلولة دون نجاح انقلاب ما، وانني على العكس من ذلك احاول ان اقول انه لا توجد امكانية نجاح الحشود غير المسلحة التي تقف بمواجهة قوى الانقلاب المسلحة بمفردها. ان ما اوضحته كجواب على السؤال الأول حول الديناميكيات الستة، انه اذا ما كان موضوع البحث هو مصر تحت ادارة مرسي، نجد تحقق واحدة منها فقط في هذا المثال

بمزيد من العمل والدراسة.

اما النقطة الثانية فتتعلق بالأصرار بشدة والوقوف على نظام للكادر الوظيفي يستند على الكفاءة واللياقة المطلوبين في كافة المؤسسات الحكومية بصورة عامة وفي القوات المسلحة التركية بصورة أخص.

اما النقطة الثالثة فتتمثل في ضرورة ترميم علاقات القوات المسلحة التركية مع المجتمع. ويقتضي تحويل الجيش من جيش يقوم بانقلابات ويكون بينه وبين مواطنيه جدار عقائدي الى مؤسسة بيروقراطية تضع نفسها في خدمة المواطن، وان يكون ذلك هو الهدف الاساسي لهذه الإصلاحات. ويقتضي كذلك التخلص من واقع مجتمعي يتمثل في الثقافة التي يمكن ان تعرف بين اوساط الشعب بالعسكرتارية وبتعبير آخر ثقافة اعطاء الاولوية للجيش في كل الظروف والاحوال وتفضيل اساليب الجيش في حل المسائل. ويقتضي كذلك ابعاد الحلول السياسية التي نصل اليها في حياتنا اليومية وخلال مسامراتنا وعدم اعتبار هذه الحلول بمثابة حلول تنظر الى الحلول العسكرية على انها حلول اعتيادية.

الا يقتضي التدخل في المفردات التي تدرّس في المدارس العسكرية وفي النظرة السائدة هناك حول التعليم من اجل القضاء على العسكرتاريا او ثقل الجيش؟

- بالطبع، فان ذلك يأتي على رأس الخطوات التي ينبغي اتخاذها في نطاق اعادة تنظيم العلاقة بين الجيش وبين المجتمع. ان المفردات التي تستعمل في تدريب الضباط انما تؤسس اقدمية لصالح العسكر بين منتسبي الجيش

القوات المسلحة التركية تشكّل عنصرا مهما جدا على صعيد تركيا من حيث الكفاح ضد منظمة PKK وضد تنظيم الدولة (داعش) الارهابيين، اي ان القوات المسلحة التركية تشكّل الذراع الضاربة ميدانيا في هذا المجال. ان الغموض وعدم الثقة المتواجدين داخل القوات المسلحة التركية يشكّلان عاملا قد يوتر بشكل كبير على الكفاح ضد هاتين المنظمتين. على انه يقتضي في اطار هذه النقطة التطرق الى نقطتين ايجابيتين في هذا المجال. والنقطة الاولى هي ان جهاز الأمن الذي تم تطهيره من الجماعة الانقلابية في السنوات الثلاثة الأخيرة، مؤثر جدا تجاه كلا المنظمتين، ويمكن لهذا الجهاز ان يتلافى الضعف الذي قد ينتاب القوات المسلحة التركية بسبب وضعها. والأمر الثاني يتلخص في ان القوات المسلحة التركية قد تخلصت من عائق كان يستنزف طاقتها الى حد كبير. ان هذا الوضع الجديد يمكن له ان يجعل القوات المسلحة التركية في موضع اكثر فاعلية تجاه الكفاح ضد الارهاب.

اما بصدد التأثيرات على المدى الطويل، فان بوسعي ان اتقدم بتوقعات تتسم بكثير من الأمنيات على الأكثر. وأولها عودة القوات المسلحة التركية الى معايير ديمقراطية. ان هذا الأمر عبارة عن تنظيمات هيكلية يتم السعي لتحقيقها على ارض الواقع منذ زمن بعيد، ويقتضي الاستمرار في هذا السعي. والواقع يقتضي القول ان الجيش مستمر على هذه التنظيمات الهيكلية منذ 15 عاما. وبالرغم من جهود الجيش نحو تطبيق الديمقراطية، فانه حصلت معنا محاولة انقلابية عسكرية، فيقتضي توضيح هذه الأزمة

ان القوات المسلحة التركية تشكّل عنصرا مهما جدا على صعيد تركيا من حيث الكفاح ضد منظمة PKK وضد تنظيم الدولة (داعش) الارهابيين، اي ان القوات المسلحة التركية تشكّل الذراع الضاربة ميدانيا في هذا المجال. ان الغموض وعدم الثقة المتواجدين داخل القوات المسلحة التركية يشكّلان عاملا قد يوتر بشكل كبير على الكفاح ضد هاتين المنظمتين.

هو سياسة الحزب المتمثلة في امكان تصفية هذه العقيدة الايديولوجية عبر طريق مختصر وقصير. وقد تم تنفيذ ذلك بشكل يفسح الطريق امام تسييس من نوع آخر (واقصد بذلك تغلغل وتمركز انصار فتح الله جولن الى صفوف الجيش). ولذلك فان محاولة الانقلاب الاخيرة هي نتيجة لهذا التسييس الجديد. ان اهم ضمان لعدم المواجهة مع خطر من هذا النوع هو الحيلولة دون تسييس الجيش (وبشكل مماثل عدم تسييس قوات الأمن ايضا).

بعد الأحداث الأليمة التي عشناها مؤخرا تتردد مقولات بان «زمن الانقلابات قد ولت في تركيا». هل انك تتفق مع هذه المقولة؟

- ان الابحاث الاكاديمية التي قمت بها كانت تتضمن وجهة نظري الرئيسية المتضمنه انه قد انتهى عهد الانقلابات التقليدية في تركيا في نهايات الثمانينيات من القرن

وسائر قطاعات الشعب. ان هذه الاقدمية اضحت العنصر الاساسي لاعتبار الانقلابات العسكرية امرا ممكنا وجعلها امرا واقعا.

وفي النهاية، ما الذي يمكن عمله من اجل الحيلولة دون نشوء تجمعات داخل الجيش تعمل لخدمة جماعة جولن او لخدمة مجاميع اخرى في المستقبل؟

- الى جانب التمنيات التي سررتها بصدد السؤال السابق، فانه يقتضي على الفاعلين السياسيين ان يدركوا مدى حساسية موضوع مثل موضوع المبدأ الذي يطلق عليه تعبير «تسييس الجيش». اننا نعرف بأن الانقلابات التي حصلت سابقا كانت نتيجة لتسييس الجيش. ان هذا التسييس واعتبار الجيش نفسه حاميا لوضع سياسي معين، يعتبر احد اهم اسباب زيادة الحركات الانقلابية في البلاد. ان احد اهم اخطاء حزب العدالة والتنمية



اسباب النجاح في محاولاتهم هذه. ان هنالك الآن بلد ومجتمع قام بسحق محاولة الانقلاب. ان ذاكرة الشعب تعتبر اكبر عائق يقتضي على من يشرع بمحاولة انقلابية ان يتخطاها.

كان احد اهم اهداف حكومات حزب العدالة والتنمية هو توسيع نطاق الحقوق والحريات الاساسية عن طريق الغاء بعض الأمور الممنوعة. وبتعبير آخر، كان الهدف تطبيع تركيا. هل ان محاولة 15 تموز الانقلابية ستؤثر على هذه السياسات بشكل سلبي؟

- لا اعتقد ان ذلك سيؤثر على الأمر بشكل سلبي. ان هذه المحاولة الانقلابية اظهرت بشكل جدي ان الفاعلين والمؤسسات التي شهدت صراعا ايديولوجيا حادا مع حكومة حزب العدالة والتنمية، وقفوا بجانب هذا الحزب. وارى انه من غير الصحيح الاستهانة بهذه التجربة.

الماضي. وبتعبير آخر، فانه يمكن ان تكون هنالك محاولات للقيام بانقلاب عسكري، غير انني اتبنى فكرة عدم امكان تحقيق ذلك. غير انه لو كان انقلاب الخامس عشر من تموز قد تحقق في الوقت الذي كان قد تم التخطيط له اي في وقت الفجر، فانه ربما كان الانقلاب يحدث نتائج بالغة الوخامة، وان هذا الاحتمال يظهر لنا وجوب عدم الاستهانة بهذه المحاولة الانقلابية باي شكل من الاشكال. ذلك اننا امام خطة انقلابية مخطط لها بشكل جيد جدا وتم تدبيرها بذكاء مفرط. غير انه وفي مقابل هذا التخطيط اتفق معكم في الدليل الذي بحثتم عنه في سؤالكم. واني اقول ذلك انطلاقا من الاسباب الهيكلية التي تطرقت اليها عندما اوضحت سبب عدم نجاح هذه المحاولة الانقلابية. يضاف الى ذلك سبب آخر جديد ومهم جدا اضيف الى تلك الاسباب. ان الذين سيحاولون تحقيق انقلاب معين، لم يعودوا يملكون

* ان هذا اللقاء الصحفي مقتبس من عدد اغسطس 2016 لمجلة "التاريخ العميق".

ان اورسام مؤسسة ابحاث ودراسات محايدة تنفذ فعاليتها في ما يخص الشرق الأوسط. وتهدف اورسام الى تنويع مصادر معلوماتها حول الشرق الأوسط، والى نقل افكار وروى الخبراء في المنطقة الى الأوساط الأكاديمية والسياسية التركية مباشرة. واتساقا مع هذه الأهداف، فان اورسام تقوم بتسهيل أمر استضافة رجال الدولة والأكاديميين وخبراء الاستراتيجية والصحفيين ورجال الأعمال وممثلي منظمات المجتمع المدني في بلدان الشرق الأوسط في تركيا، مستهدفة في ذلك تقوية مصادر معلوماتها ونشر ما تتوصل اليه سواء في تركيا او في الأوساط الدولية. وتحتوي سلة معلومات ونشرية اورسام على نشر الكتب والتقارير والنشرية والملاحظات السياسية والمحاضرات ومحاضر الاجتماعات العلمية، اضافة الى اصدارها مجلتيين باسم «تحليلات الشرق الأوسط» و «دراسات الشرق الأوسط».



مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية (اورسام)
زقاق سليمان نظيف، الرقم 12 – ب / جانقايا – انقره
هاتف : 4302609 (312) 0 – فاكس : 4303948 (312) 0